لم يكن ينبغي لك ان تسال رجلا ليس له الا امراة واحدة التزول بل كان
الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل
خطبها اوريا ثم خطبها داود فاثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة
اخيه المومن مع كثرة نسايه واما ما يذكرون ان داود تمنى منزلة ابايه ابراهيم
واسحق ويعقوب فقال يارب ان ابا قد ذهبوا بالخير كله فاوحى اليه
انهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها فابتلى ابراهيم بنمرود وذبح ولده واسحق
بذبحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسال الابتلا
فاوحى اليه انك ستبتلى في يوم كذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه
واغلق بابه وجعل يصلي ويقرا الزبور فجاءه الشيطان في صورة حمامة من
ذهب فمد يده لياخذها لان له صغير فطارت فامتد اليها فطارت
فوقعت في كوة فتبعها فابصر امراة جميلة تغتسل فلما رات ظلة شعرها فغطى بدنها
وهي امراة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى يوب بن صوريا وهو صاحب
بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على
التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يديه او يستشهد ففتح الله على
يديه وسلم فامر به مرة اخرى وثالثة حتى قتل فاتاه خبر قتله فلم يحزن
كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امراته فهذا وجوه مما يقبح ان يتحدث
به عن المتسمين بالصلاح من افناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء
وعن سعيد بن المسيب والحرث الاعور ان عليا بن ابي طالب رضي الله عنه
قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته ماية وستين
وهو حد الفرية على الانبياء وروي انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز
وعنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على
ما في كتاب الله فما ينبغي ان يلتمس خلافها واعظم بان يقال غير ذلك وان
كانت على ما ذكرت وكف الله عنها ستر اعلى نبيه فما ينبغي اظهارها عليه فقال
عمر اسمعي هذا الكلام احب الي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل على المثل
الذي ضربه لقصته عليه السلام ليس لا طلبه الى زوج المراة ان ينزل له عنها
فحسب فان قلت لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح
قلت لكونها ابلغ في التوبيخ من قبل ان التامل اذا اداه الى الشعور بالمعرض
به كان اوقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه واعظم اثرا فيه واجلب لاحتشامه
وحيائه وايضا لما في التعريض على الخطا فيه من ان يباديه به صريحا مع مراعاة
حسن الادب بترك المجاهرة الا ترى الى الحكام كيف اوصوا في سياسة
الولد اذا وجدت منه هنة ان يعرض له بانكارها عليه ولا يصرح
وان تحكى له حكاية ملاحظة لحاله اذا تاملها استقبح حال صاحب الحكاية
فاستقبح حال نفسه وذلك ازجر له لانه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا
لشانه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع انه اصون لما بين
الوالد والولد من حجاب الحشمة فان قلت فلم كان ذلك على
وجه التحاكم اليه قلت ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسوال
نعجتك الى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه
وهل اتاك نبا الخصم ظاهر الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من
الانباء العجيبة التي حقها ان تستفيض ولا تخفى على احد والتشويق الى
استماعه والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف قال الله
تعالى حديث ضيف ابراهيم المكرمين لانه مصدر في اصله تقول

Copyright Images

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)